

على ذكر المولد النبوي

للدكتور عبد الوهاب عزام



الذكر العظيمة في تاريخ الأمم نجوم يهتدى بها في ظلمات الأيام ، وأعلام يستبين بها الطريق في ضلالات الزمان ، ودعوات إلى الحق والخير تدوى على مر السنين . والزمان بالناس دائر لا يفتقر ، تمتورهم أحداثه ، وتتداولهم غيره ، فمن لم يمتصم بسبب من الحق ، ويستمسك بهروة من العمل الصالح ، ضل وانهمت عليه السبل ، والتبس عليه الحق والباطل ، والهدى والضلال . ومن لم يحمل له قدوة من سير العظماء تردد وتخير ، والزمان لا ينتظر المترددين الحيارى ، أو ضل وهلك ، والهدى لا يشفق على الضلال والمهلك .

وإن لنا مضر المسلمين من سيرة رسولنا خاتم النبيين نبوياً نيرات ، وأعلاماً وانمحات ، وأسمى تهدي إلى الخير والبر ، والتي هي أقوم من أعمال الدين والدنيا . إن لنا من سيرة الرسول الكريم هدى في كل صغيرة وكبيرة من أعمال الفرد والجماعة .

فقد حفظ لنا التاريخ سيرته في بيته ومسجده ، وفي سياحة الجماعات ، وتربية الأمم ، وقيادة الجيوش ، وفي الإصلاح بين المتعادين ، والقضاء بين المتخاصمين ، وفي المنع والحضر ، والشد والرخاء ، والحرب والسلام ، والتعصب والرضا ، فما تلقانا حادثة من حوادث الزمان ، أو عمل من أعمال الحياة خيرها وشرها ، ونحوها وصرها ، إلا وجدنا في سيرة سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد صلوات الله عليه وسلامه مثلاً عالياً ، وأسوة حسنة ، ورأياً هادياً ، وقضاء فصلاً ، يهديننا إلى ما فيه صلاح الدنيا والآخرة . كل فرد منا يجد في سيرة محمد وهدى شفاء دائه ، والتحرر من أهوائه ، وإصلاح خلقه ، وكل فرد منا يجد في سيرة نبيه الجهاد في الحياة والصبر على لأوائها ، والطموح إلى مآلها ، والاستكبار عن

دنائها ، والإباء على كل ضم والنفور من كل مذلة وكل أمة من أم المسلمين تدوى فيها ليل نهار الدعوة الحميدة تدعوها إلى أن تقوم في أرض الله على عباد الله بقانون الله « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

وكل أمة على هذه الأرض تجد في هدى محمد ما يطب لها ، ويقم من عوجها . وهل أودى بالجماعات إلا عصبية باطلة ، وأهواء جامحة ، وشهوات مسطرة ، واستكبار على الحق ، ونفور من العدل ؟ هل كبّ الناس في جهنم إلا ما استمر في قلوبهم من الضغينة ، وتأذى في رؤوسهم من الهوى ؟ وهل يعرف للتاريخ كعبد رسولاً جاء بالشرع الجامع ، والأخوة العامة ، والعدل الشامل ؟ هل يعرف للتاريخ كعبد هادياً ألف بين منازع النفس على قانون من العفة والعدل ، وألف بين الإنسان والإنسان على شريعة من المودة والأخوة ، وألف بين الأمة والأمة على منهاج من الحق والبر والعمل الصالح خير للناس أجمعين ؟ من رفع للناس لواء الأخوة لا يفرق بين الأبيض والأسود ، ولا يميز بين المشرق والمغرب ؟ : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » . من دعا للناس جميعاً إلى التناقص في الخير على اختلاف أديانهم ونحلهم وأزله عليه : « ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير » . لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ، ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيها أماكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبشكم بما كنتم تعملون »

أين أنتم من هذه الأخوة الجامعة يا ضلال البشر ؟ أين أنتم من دعوة الخير العامة يا دعاة الشر ؟ أين أنتم من هذه الرحمة يا قضاة القلوب ؟ أين أنتم من هذا الصلاح يا فساد الشعوب ؟ المسلمون أحن بالقوم وأجدر بالتنظيف . فهم أهل هذا الدين